السنة الثانية والثلاثون بعد المئتين

فيها[١] كتبَ الواثقُ إلى بُغا الكبير وهو بالحجاز أنْ يسيرَ إلى بني نمير فيوقِعَ بهم.

وسببُ ذلك أنَّ عُمارة بن عُقَيل بن بلال بن جرير بن الخطفى الشاعر قدم على الواثق، وامتدحَه بقصيد امتدحَه فيها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، فقال له عمارة: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بني نمير قد أفسدُوا أرضَ الحجاز وتهامة بالغارات، فكتبَ إلى بغا يأمرُه بقتالهم، فخرجَ من المدينة ومعه محمد بن يوسف الجعفري يدلُّه على الطريق، فقصدَ اليمامةَ، فصادفَ جماعةً منهم، فحاربوه وحاربهم، فقَتَلَ منهم نيِّفاً وخمسين رجلاً، وأَسَرَ منهم نحواً من أربعين رجلاً، ثمَّ سَارَ إلى اليمامة، فنزلَ بقريةٍ من أعمالها، وبعث إليهم يعرضُ عليهم الأمانَ، وهم يشتمون رسله، وآخر من بعث إليهم رجلين؛ أحدهما من بني تميم، والآخر من بني نمير، فقتلوا التميميَّ وأثبتوا النميريَّ جراحاً، فسار إليهم غُرَّةَ صفر، ثمَّ أرسلَ إليهم أن ائتوني، فامتنعوا، وصعدوا جبال اليمامة، فبعثَ إليهم سرايا، فأسرَتْ منهم، ثمَّ إنَّه أتبعَهم بألف رجل، فالتقوا بمكان يقال له روضة الأبار[٢]، وقد حشدوا له في ثلاثة آلاف، فاقتتلوا.

وقيل: إنَّما اقتتلوا في بطن السن[٣]، وهو على مرحلتين من القرنين[٤]، فهزموا أصحابَ بُغا، وقتلوا منهم نحواً من مئة، وعقروا من إبل العسكر نحواً من سبع مئة بعير ومئة دابة، وانتهبوا الأثقالَ، وجاء بُغَا إليهم، وحالَ بينهم الليل، فجعل يناشدُهم الله والرجوع إلى الله، وجعلَ محمد بن يوسف الجعفريّ يكلمُهم بذلك، فقالوا: يا محمد، قد والله ولدناك، فما راعيتَ حرمةَ الرحم، ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلُوج تقلقنا[٥] بهم، والله لنرينَّك بهم العبر.

---

(١) من هنا إلى قوله: وفيها حجَّ الناس . . ليس في (ب).

(٢) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧ : روضة الأبان. وفي الكامل ٧/ ٢٧ : روضة الأمان.

(٣) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري: بطن السر. قال صاحب معجم البلدان ١/ ٤٤٩ : بطن السر: واد بين هجر ونجد .

(٤) في (خ) و(ف): القريتين.

(٥) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧ : تقاتلنا.

فلمَّا دنا الصبحُ قال محمدٌ لبُغَا: ناجزهم قبلَ أن يضيء الصبح فيروا قلَّة عددنا، فيتجبروا[١] علينا، فأبى عليه بغا، فلمَّا طلعَ الصبحُ ورأوا قلَّة الذي جاء مع بغا حملُوا عليهم، فهزموهم، فأيقنَ بغا بالهلاك، [وكان بغا] قد بعث من أصحابه نحواً من مئتي فارس إلى [خيلٍ][٢] لبني نمير، فبينا هو على الهلكة، إذا بهم قد عادوا، فوجدوه في تلك الحال، فضربوا البوقات، وحَملوا على بني نمير، فظنوهم كميناً، فانهزموا، ولم يفلت من رجَّالتهم أحد، وأمَّا فرسانُهم فهربوا إلى الجبال.

وقيل: إنَّ الهزيمةَ لم تزل على بُغا منذ غدوة إلى انتصاف النهار، وذلك في جمادى الآخرة، ثم تشاغلوا بالنهب، فكرُّوا عليهم فهزموهم، وقتلوا منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمس مئة رجل، ثمَّ أقامَ بغا بموضع الوقعة ثلاثةَ أيَّام، حتى جُمعت له رؤوسُ بني نمير، وأرسل من هرب من فرسانهم يطلبونَ الأمان، فأمَّنهم، وجاؤوا فقيَّدهم وأشخصهم معه، فبينا هم في الطريق إذ حاولوا كسرَ قيودهم ليهربوا، فأحضروا واحداً واحداً، وضربه أربع مئة سوط إلى خمس مئة، ثمَّ أقام بحصن الأبار[٣] يرسلُ إلى القبائل ويستصلحهم، وبثَّ سراياه خمسةَ أشهر، وأخذ منهم ثمان مئة رجل من البطون، فأوثقهم بالحديد، وحملَهم إلى البصرة، فدخلها في ذي القعدة هذه السنة، وكتب إلى صالح العباسيّ والي المدينة أن يسير بمن [سُجن في][٤] الحبسين في المدينة من بني كِلَاب وغيرهم، وأن يلحق بهم، فوافاه بهم ببغداد، ثمَّ ساروا جميعاً إلى سرَّ من رأى، فكانت عدَّةُ من قَدِمَ به بُغا وصالح من الأعراب سوى من مات وقتل زُهاء ألفي رجلٍ ومئتي رجل من جميع القبائل والبطون.

و[فيها][٥] حَجَّ بالناسِ محمد بن داود. وأصابَ الحاجَّ في رجوعهم عطشٌ شديدٌ، وبلغت الشربةُ دنانير[٦]، ومات خلقٌ كثير.

---

(١) في تاريخ الطبري: فيجترؤوا علينا.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٧، ومكانها في (خ) بياض.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ١٤٩: حصن باهلة.

(٤) في (خ) و(ف) بياض، والمثبت بين حاصرتين استفدت معناه من تاريخ الطبري ٩/ ١٤٩-١٥٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). ومن هنا ابتدأت أحداث السنة الثانية والثلاثين فيها، وليس فيها خبر بني نمير.

(٦) في (خ) و(ف): ديناراً. والمثبت من (ب)، وانظر تاريخ الطبري ٩/ ١٥٠، والكامل ٧/ ٣٤، والمنتظم

وفيها ولّى الواثق محمدَ بن إبراهيم بن مصعب بلاد فارس.

وفيها كثرت الزلازل في الدنيا، خصوصاً المغرب والشام، وانهدمت حيطانُ دمشق، ومات خلقٌ كثيرٌ، وكذا بحمص وأنطاكية، وكان أشدُّها في أنطاكية والعواصم، ثمَّ امتدَّت إلى الجزيرة، وأخربت بلادها والمَوْصل ودامت أياماً.

وفيها مات الواثقُ وبويع المتوكِّلُ.

الباب العاشر في خلافته[1]

واسمه جعفر بن محمد المعتصم[2] بن الرشيد، وهو أخو الواثق لأبيه، وكنيته أبو الفضل، وأمّهُ شُجاع أم ولد خُوَارِزميَّة، وقيل: تركية، ولد بفم الصّلح سنة سبع، وقيل: سنة خمس ومئتين، وكان أسمر نحيفاً، خفيف العارضين، مليح العينين، ربعة [وقال ابن أبي دؤاد: رأيت المتوكل وهذه صفته]، ولا يعرفُ خليفةٌ صار جداً قبل أن يبلغَ ثلاثين [سنةً] إلا المتوكِّل، ولا تُعْرَفُ امرأةٌ ولدتْ خليفةً وصار جدّاً وله ثلاثةُ أولادٍ ولاةُ العهود إلَّا شجاع [الخوارزمية، وهي أمه كما ذكرنا]، وكانت [قد][3] عُرِضَت على المعتصم في زيِّ غلامٍ عليه قَبَاءٌ وقَلَنْسُوة، فأعجبته ظنّاً منه أنَّها غلام فقيل له: إنَّها جارية، فقال: ذاك أعجبُ إليَّ فاشتراها.

ولمَّا مات[4] الواثقُ اجتمعَ وصيفٌ التركيّ، وأحمدُ بن أبي دؤاد، ومحمد بن عبد الملك الزيَّات، وأحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير، وعمر بن فرج، فعزمَ أكثرُهم على تولية محمد بن الواثق، وكان ابن الزيَّات أميلَهم إليه؛ كراهة للمتوكل، فأحضروه وهو غلامٌ أمرد قصير، فقال ابن أبي دؤاد: ما تتقونَ الله، تولون مثل هذا الخلافة على المسلمين؟! فأرسلوا بغا الشرابيَّ إلى المتوكل فأحضره، فقام ابنُ أبي دؤاد فألبسه الطَّويلة والدرَّاعة، وعمَّمه، وقبَّل ما بين عينيه، وقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين

= ١٧٧/١١.

(١) في (ب): ذكر خلافة المتوكل على الله.

(٢) في (خ) و(ف) و(ب): بن المعتصم. وهو خطأ.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) من هنا إلى قوله: وروى الخطيب عن عليِّ بن الجهم. ليس في (ب).

ورحمةُ الله وبركاته، ثم غُسِّلَ الواثق، وصلَّى عليه المتوكل ودُفِن[١].

وقال سعيد الصغير[٢]: رأى المتوكِّلُ في منامه كأن سكَّراً سليمانيًّا يسقطُ عليه من السماء، مكتوبٌ عليه: جعفر المتوكل على الله، فلمَّا صلَّى على الواثق، قال محمد بن عبد الملك الزيات: نسمِّيه المنتصر، وخاضَ الناسُ في ذلك، فحدَّثَ المتوكِّلُ أحمدَ ابن أبي دؤاد ما رأى في منامه، فوجده موافقاً، فأُمضي، وكتب إلى الآفاق.

وقيل: إنَّهم بعد ذلك صاروا إلى دار العامة، فبايعوه حتى زالت الشمس حينئذ، وذلك يوم الأربعاءِ لستٍّ بقينَ من ذي الحجة، وسنُّه يومئذٍ ستٌّ وعشرون سنة، وكتب له بالبيعة محمدُ بن عبد الملكِ، وهو يومئذٍ على ديوان الرسائل[٣].

قال الصوليّ: لمَّا جاءه بُغَا الشرابيّ احترزَ ابنُ أبي دؤاد لدنياه، فلم يبق مجهوداً، فجاءه من الله ما لم يكن في حسابه، مات عدوُّه ابنُ الزيَّات في صفر سنة ثلاث وثلاثين، وحكم على الخلافة.

[وروى الخطيبُ عن عليِّ بن الجهم قال:][٤] وَجَّه إليَّ المتوكِّلُ فأتيتُه، فقال: يا عليّ، رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقمتُ إليه فقال: تقومُ إليَّ وأنت خليفة؟ فقلت له: أبشر، أمَّا قيامُك إليه فقيامك بالسنَّة، وقد عدَّك من الخلفاء. فسرَّ بذلك[٥].

وفيه يقول فضل الشاعر[٦]:[من السريع]

استقبلَ المُلكَ إمامُ الهدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا
خلافةٌ أفضَتْ إلى جعفر ... وهو ابنُ ستٍّ[٧] بعد عشرينا
إنَّا لنرجو يا إمامَ الهدى ... أن تملكَ الناسَ ثمانينا

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤٦ .

(٢) في (خ) و(ف): القصير. والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ٤٦ ، وتاريخ الطبري ٩/ ١٥٥، والمنتظم ١١/ ١٧٩.

(٣) المنتظم ١١/ ١٧٩ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) و(ف) . وقال: علي بن الجهم.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٥٢ .

وهنا انتهت ترجمة المتوكل في (ب)، وبعدها: فصل في ذكر الواثق وسيأتي .

(٦) كذا في (خ) و(ف) . وفي المصادر: فضل الشاعرة.

(٧) في الأغاني ١٩/ ٣٠٢ والمنتظم ١٢/ ١٣٤ : سبع. وهو الصواب.

لا قـدَّسَ الله امـرءاً لـم يَـقُـل عـنـد دُعَـائـي لـكَ آمـيـنـا

فأمر له بأربعين ألفاً[١].

ومن العجائب أنَّه سلَّم على المتوكِّلِ بالخلافة ثمانيةٌ كلُّهم ابنُ خليفة؛ منصور بن المهدي، والعباس بن الهادي، وأبو أحمد بن الرشيد، وعبد الله بن الأمين، وموسى ابن المأمون، وأحمد بن المعتصم بن الرشيد، ومحمد بن الواثق، والمنتصرُ بن المتوكِّل[٢].

وفيها توفي

حبيبُ بن أوس

ابن الحارث بن قيس، أبو تمَّام الطائيّ، وأصله من قرية جَاسِم بحَوْرَان، وهي التي يقول عديُّ بن الرقاع فيها: [من الكامل]

وكـأنَّـهـا وسـط الـنـسـاء أعـارهـا[٣] عـيـنـيـه أحـورُ مـن جَـآذِر جـاسـم

وَسْـنَـانُ أقـصـدَهُ الـنـعـاسُ فـرنَّـقـت فـي عـيـنـه سِـنَـةٌ ولـيـسَ بـنـائـمِ[٤]

ولد سنة ثمانٍ وثمانين ومئة، وقيل: سنة تسعين ومئة بناحية مَنْبِج، وبها نشأ، ومدح الخلفاء والوزراء، وكان أسمر طوالاً، حلو الكلام فصيحاً، فيه تمتمةٌ يسيرةٌ، وعقلُه أوفرُ من شعره، وكان أبوه نصرانيّاً خمَّاراً بدمشق، واسمه تدوس فغُيِّرَ بأوس[٥].

وكان بمصر في حداثة سنِّه يسقي الماءَ في المسجد الجامع، ثمَّ جالسَ الأدباء، وأخذ عنهم وتعلَّم منهم، وكان فَطِناً يحبُّ الشعر، فلم يزل يُعانيه حتى قاله فأجاد فيه، وبلغ المعتصم خبرُه فطلبَه، فحُمِل إليه وهو بسُرَّ من رأى، فمدحه بقصائد، فأجازَه وقدَّمه على شعراء زمانه، وقدم بغداد، فجالسَ بها العلماء، وكان ظريفاً حسن

(١) في المنتظم والأغاني: فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم.

(٢) المنتظم ١١/ ١٧٨.

(٣) في (خ) و(ف): بين الظباء عقارها. والمثبت من المصادر.

(٤) الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٠، والكامل ١/ ١٩٣، والأغاني ٩/ ٣١١.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩.

الأخلاق كريم النفس[١]، فأقرَّ له الشعراءُ بالفضل والتقدُّم.

وقال عليُّ بن الجهم: كان الشعراءُ يجتمعون في كل جمعة في القبَّة المعروفة بهم بجامع المنصور ببغداد، فيتناشدون الأشعار، ويعرض كلُّ واحدٍ ما أحدثَ من القول، فبينا أنا في بعض الجُمَع، ودِعبل وأبو الشيص وابن أبي فَنَن، والناسُ يسمعونَ إنشادَ بعضنا لبعض، أبصرتُ شابًّا في أُخريات الناس جالساً في زيِّ الأعراب، فلمَّا قطعنا الإنشاد قال لنا: قد سمعتُ إنشادكم منذ اليوم، فاسمعوا إنشادي، وأنشد قصيدة يقول في أوَّلها: [من البسيط]

فَحْواك عينٌ على نَجواك يا مَذِلُ ... حتَّام لا ينقضي من قولك الخَطِلُ[٢]

ما أقبلَتْ أوجُهُ اللذَّات سافرةً ... مُذْ أدبرَت باللِّوى أيامُنَا الأُوَلُ

إنْ شئتَ أن لا ترى صبراً لمصطبرٍ ... فانْظُر على أيِّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلُ

كأنَّما جادَ مغناهُ فغيَّره ... دموعُنا يومَ بانُوا وَهْيَ تنهملُ

ولو ترانا وإيَّاهم وموقِفَنا ... في مأتم البين لاستِهلالنا زَجَلُ

من حُرْقَةٍ أطلقتها فُرقَةٌ أسرَتْ ... قلباً ومن عذله في إثره عَذَلُ[٣]

ثم مرَّ فيها حتى بلغ قولَهُ:

تغايرَ الشِّعر فيه إذ سهرتُ له ... حتى ظَننتُ قوافيه ستَقتتلُ

وأنشدَها[٤]، فقلنا: زدنا، فأنشد: [من الكامل]

دمنٌ ألمَّ بها فقال سلامُ ... كم حَلَّ عقدةَ صبرِه الإلمامُ[٥]

فأنشدها إلى آخرها، فقلنا: لمن هذا الشعر؟ فقال: لمن أنشدَكُموه، فقلنا: ومن أنت؟ قال: أبو تمام حبيب بن أوسٍ الطائيّ، فقال له أبو الشِّيص: تزعمُ أنَّ هذا الشعر

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٨.

(٢) فحواك: من قولهم: عرفت ذلك في فحوى كلامه، أي: في معناه، والمذلُ: الذي لا يكتم سرَّه، والخطل: المضطرب. وفي ديوان أبي تمام ٣/ ٧، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥٩: يتقضى قولُك.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفي الديوان ٣/ ٧: ومن غزلٍ في نحره عذل، وفي تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩: ومن عذل في نحره عذلُ.

(٤) القصيدة في ديوان أبي تمام ٣/ ٥ـ٢٠ في سبع وأربعين بيتاً.

(٥) ديوان أبي تمام ٣/ ١٥٠.

لك وأنت تقول:

تـغـايـرَ الـشـعـرُ فـيـه إذ سـهـرتُ لـه

فقال: نعم لأنِّي سهرتُ في مدحِ ملك، ولم أسهر في مدح سُوقة، فعرفناه ولم نزل نتهادَاه بيننا، وجعلناه كأحدنا، واشتدَّ إعجابُنا به لظرفه وكرمه، وحسن عشرته، وجودة شعره[١].

وقال الحسين بن إسحاق، قلت للبحتريِّ: الناسُ يَزعُمون أنَّك أشعرُ من أبي تمَّام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرُّ أبا تمَّام، والله ما أكلتُ الخبزَ إلَّا به[٢].

وقال سَوّار بن أبي شُرَاعة[٣] للبحتريّ: أنتَ أشعرُ أم أبو تمام؟ فقال: لا والله، ذاك الرئيسُ المقدَّم الأستاذ، والله ما أكلنَا الخبز إلَّا به، وكان المبرِّدُ حاضراً، فقال له: يا أبا عبيدة تأبى إلَّا شرفاً من جميع الوجوه. فقال له البحتريُّ: كان أبو تمام يجلسُ بحمص فيجتمع إليه الشعراء فيعرضونَ عليه قصائدَهم، فقدمت إليه وعرضت عليه قصيداً، فأصغى إليَّ دونَهم، فلمَّا انصرفوا قال: أنت أشعرُ مَنْ[٤] أنشدني، كيف حالك؟ فشكوتُ إليه قلَّةً وحاجة، فكتب لي كتاباً إلى أولاد المعرَّة[٥] فأكرموني ودفعوا إليَّ أربعةَ آلاف درهم[٦].

وقال سعيدُ بن جابر الكَرْخِيّ: [حدثني أبي قال:][٧] حضرنا يوماً عند أبي دُلَفْ القاسم بن عيسى ومعنا أبو تمام، فأنشده قصيدته التي يقولُ في أولها: [من الطويل]

عـلـى مـثـلـهـا مـن أَرْبُـعٍ ومـلاعـبِ أُذيـلَـتْ مـصُـونـاتُ الـدمـوعِ الـسَّـوَاكـبِ

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٩ـ١٦٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٠ .

(٣) في (خ) و(ف): سوار بن سراعة. والتصويب من المصادر.

(٤) في (خ) و(ف): من كلهم أنشدني. والمثبت من أخبار أبي تمام.

(٥) في (خ) و(ف): المغيرة. وهو تصحيف.

(٦) هذا الخبر هو مجموع من خبرين ذكرهما الصولي في أخبار أبي تمام، فخبر السؤال للبحتريّ: أنت أشعر أم أبو تمام؟ في أخبار أبي تمام ص٦٧ ، لكن السائل عنده: أبو عبد الله الحسين بن علي.
وخبر عرض البحتري شعره على أبي تمام في أخبار أبي تمام ص٦٦ ، والأخير من طريق سَوَّار بن أبي شُرَاعة. وانظر أيضاً الأغاني ٢١/ ٤٠ .

(٧) ما بين حاصرتين من أخبار أبي تمام ص١٢١، وانظر الأغاني ١٦/ ٣٨٩ .

فلمَّا بلغ قوله:

إذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقوسِها ... فخاراً على ما نلت من مناقبِ[1]
فأنتم بذي قارٍ أمالَتْ سيوفُكم ... عروشَ الذين استرهَنُوا قوسَ حاجبِ
محاسنُ من مجدٍ متى يَقْرِنُوا بها ... محاسنَ أقوامٍ تَكُنْ كالمعايبِ
مكارمُ لجَّت في العيون[2] كأنَّما ... تحاولُ ثأراً عند بعض الكواكبِ

قال أبو دلف: يا معاشر ربيعة، والله ما مُدِحتم بمثل هذا قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه مطارفَهُم يرمونَ بها إليه، فقال أبو دُلَف: قد قَبِلها وأعاركم إيَّاها فالبسوها، وسأنوبُ عنكم في ثوابه، وأمر له بخمسين ألفاً، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك، فاعذر، فقام أبو تمام ليقبِّلَ يده، فأقسمَ عليه أبو دُلَفٍ بأن لا يفعل، ثمَّ قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد فأنشد: [من الطويل]

كذا فليجلَّ الخطب وليفدحِ الأمرُ ... فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
تُوفِّيتِ الآمالُ بعد محمَّدٍ ... وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفر السَّفْرُ
وما كان إلَّا مالَ من قلَّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس لهُ ذُخْرُ
فأَثْبَتَ في مستنقعِ الموت رِجْلَهُ ... وقال لها من تحتِ أَخْمصِكِ الحشرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما أتى ... لها الليلُ إلَّا وهي من سُنْدُسٍ خُضْرُ
وقد كانت البيضُ المآثيرُ في الوغى ... بواتِرَ وهي الآن من بعده بُتْرُ
أَمِنْ بعد طيِّ الحادثاتِ محمَّداً ... يكونُ لأثوابِ الندى أبداً نَشْرُ
سقى الغيثُ غيثاً وارت الأرضُ شخصَه ... وإن لم يكنْ فيه سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيف احتمالي للسَّحاب صنيعةً ... بإسقائها قبراً وفي لحدِه البحرُ
مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ ... غداةَ ثَوى إلَّا اشتهت أنَّها قبرُ
ثَوى في الثَّرى من كان يحيى به الثَّرى ... ويَغْمُرُ صَرْفَ الدهرِ نائلُه الغَمْرُ

(١) في ديوان أبي تمام ١/ ٢٠٧، وأخبار أبي تمام ص١٢٣، والأغاني ١٦/ ٣٩٠:
وزادت على ما وطدت من نوائب
وفي هامش الديوان أنه وقع في رواية: فخاراً. بدل: وزادت.
(٢) في المصادر: لجت في علوٍّ.

عليكَ سلامُ الله وَقْفاً فإنَّني ... رأيت الكريمَ الحرَّ ليس له عُمْرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سيفه ... من الضَّرب واعتلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ ... إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
غدا غدوةً الموت[1] نسجُ ردائه ... فلم ينصرفْ إلَّا وأكفانُه الأَجرُ
كأنَّ بني نبهانَ يومَ وفاته ... نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البَدْرُ
يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلى ... ويبكي عليه الجود والبأس والشِّعرُ[2]

فقال أبو دلف: والله لودِدْتُ أنَّها قيلت فيَّ، فقال أبو تمَّام: لا بل أفدي بنفسي الأمير، وأكونُ المقدَّم قبلَه، فقال أبو دُلَف: إنَّه لم يمتْ من رُثِي بمثل هذا الشعر.

ودخل أبو تمَّام على الحسن بن رجاء مادحاً له فأنشده: [من الكامل]

عادتْ له أيَّامُه مُسوَدَّةً ... حتَّى توهَّم أنَّهنَّ ليالي
أضحى سَمِيُّ أبيكَ فيه مُصَدَّقاً ... بأجلِّ فائدةٍ و أيمنِ فالِ
ورأيتَني فسألتَ نفسَك سَيْبَها ... لي ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالي
كالغيثِ ليس له أُريدَ غمامُه ... أو لم يُرَدْ بدٌّ من التَّهطالِ
لا تُنْكِري عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى ... فالسيلُ حَربٌ للمكانِ العالي
وترقَّبي[3] خَبَبَ الرِّكابِ يَنُصُّها ... محيي القريضِ إلى مميتِ المالِ
بسطَ الرجاءَ لنا برغمِ نوائبٍ ... كَثُرتْ بهنَّ مَصَارِعُ الآمالِ

فقام الحسن قائماً وقال: واللهِ لا أتممتَها إلَّا وأنا قائمٌ، فأتمَّها وهو قائم، فقال له الحسن: ما أحسن ما جَلوتَ هذه العروس، فقال أبو تمام: لو كانتْ من الحورِ العين لكان قيامُك لها أوفى مَهرها، فأعطاهُ الحسنُ عشرينَ ألفاً، على بخلٍ كان فيه.

وقال يحيى بن أبي عبَّاد: شهدتُ أبا تمام وهو ينشدُ إبراهيم بن المعتصم[4] قصيدتَه

---

(١) كذا في (خ)و(ف). وفي الديوان ٤/ ٨١ ، وأخبار أبي تمام ص١٢٥ ، والأغاني ١٦/ ٣٩٠ : والحمد. بدل: الموت.

(٢) ديوان أبي تمام ٤/ ٧٩ ـ ٨٥ بتقديم وتأخير، والقصيدة فيه في ثلاثين بيتاً.

(٣) في ديوان أبي تمام ٣/ ٧٧ ، وأخبار أبي تمام ص١٦٨ ، والأغاني ١٦/ ٣٩٢ : وتنظَّري.

(٤) كذا في (خ) و(ف). والصواب ـ كما في أخبار أبي تمام ص٢٣٠ ، وديوان أبي تمام ٢/ ٢٤٢ ـ : أحمد بن المعتصم.

التي يقول في أولها: [من الكامل]

ما في وقوفِكَ ساعةً من بَاسِ يقضي ذِمَامَ الأربعِ الأدراسِ
فلعلَّ عينَك أنْ تُعينَ بمائها والدمعُ فيه خاذلٌ ومواسِي
إقدامُ عمرٍو في سماحة حاتمٍ في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

فقال محمد بن يوسف الكنديّ: قدرُ الأمير فوقَ ما وصفت، فأطرقَ أبوتمَّام ساعةً ورفع رأسه وقال:

لا تُنكرُوا ضربي له من دونَه مثلاً شروداً في النَّدى والباسِ
فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِه مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

ويقال: كان تحته طِنْفِسَةٌ، فحفرها بأصابع رجليه.

وقال المبرِّد: بلغ موسى بن إبراهيم أن أبا تمَّام هجاه، وكان محسناً إليه، فعتب عليه، فقال أبو تمَّام معتذراً ـ وكنية موسى أبو المغيث الرافقيّ ـ: [من الطويل]

شهدتُ لقد أقوَت مغانيكُم بعدي ومحَّتْ كما محَّت وشائعُ من بُرْدِ
وأنجدتُمُ من بعد إتهامِ دارِكُم فيا دمعُ أنجدْني على ساكِني نَجْدِ
لعمري قد أخلقتم جِدَّة البُكا عليّ وجَدَّدْتُم به خَلَقَ الوَجْدِ
كريمٌ متى أمدحْهُ أمدحْهُ والورى معي ومتى ما لمتُه لمتُه وَحْدِي

من أبيات[1].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: قدم أبو تمَّام على ابن طاهر بخراسان، فأنشَده قصيدته التي يقولُ فيها: [من الطويل]

وركبٍ كأطرافِ الأَسِنَّة عرَّسُوا على مِثْلِهَا والليلُ تَسطُو غَياهبُهْ
لأمرٍ عليهم أنْ تتِمَّ صدورُه وليس عليهم أنْ تَتِمَّ عَواقِبُهْ[2]

فصاح الشعراء وقالوا: والله ما يستحقُّ [مثل هذا الشعر][3] غيرُ الأمير ابن طاهر،

(١) انظر أخبار أبي تمام ص٢٠٢ـ٢٠٣ ، والأبيات في ديوانه ٢/ ١٠٩ـ١١٠ ، ١١٦.
(٢) ديوان أبي تمام ١/ ٢٢١ .
(٣) ما بين حاصرتين من الأغاني ١٦/ ٣٨٩، وأخبار أبي تمام ص١١٧.

فلمَّا فرغ من القصيدة نثر عليه ألفَ دينار، فلم يمدَّ يده إليها، فالتقطَها غلمانُ ابن طاهر، ولم ير أن يشاركَهم لشرف نفسِه.

فسعى به الحُسَّادُ إلى ابن طاهر، وقالوا: ترفَّعَ على عطائِك، فأعرضَ عنه، فدخل أبو تمَّام على أبي العميثل شاعرِ الطاهرية، فشكا إليه، فقال أبو العميثل لابن طاهر: أيُّها الأمير من حمل إليك أملَه من العراق، وكدَّ جسمَه فيك، وأتعَب فكره وخاطرَه، ومدحك، تُعْرضُ عنه. واختصّ به وحمل إليه ألوفاً[١].

والأصح أن أبا تمَّام خرج من خراسان مراغماً لابن طاهر؛ كان لا يجيز شاعراً حتى يرضاه أبو العميثل وأبو سعيد الضرير فلما قدم أبو تمَّام خراسان دخل عليهما وامتدحهما قصيدته التي أولها: [من الطويل]

هُنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُه ... فعزماً [فقِدْماً] أدركَ السؤلَ طالبُهْ[٢]

فلم يلتفت إليه أبو العميثل والضرير فلمَّا مر فيها قال:

إلى سالب الجبَّارِ بيضةَ مُلْكِه ... وآمِلُهُ غادٍ إليه فسالبُهْ
إلى ملكٍ لم يُلْقِ كَلْكَلَ بأسِه ... على ملكٍ إلَّا وذُلِّلَ جانبُهْ[٣]
إذا ما امرؤٌ ألقَى بربعِكَ رحْلَهُ ... فقد طالبته بالنَّجَاح مطالبُهْ
إذا المرءُ لم يستخْلِص الحزمُ نفسَهُ ... فَذِرْوَتُهُ للحادثاتِ وغاربُهْ
أعاذلتي ما أخشنَ الليلَ مَرْكَباً ... وأخشنُ منه في الملمَّاتِ راكبُهْ

فاستحسناها ودخلا على ابنِ طاهر فأثنيا عليه، فاستحضَره وأنشده إيَّاها، فنثر عليه ألف دينار، فلم يرضه، وخرج من عنده يطلبُ العراق فقال: [من الكامل]

يا أيُّها الملكُ المقيمُ ببلدةٍ ... لا تأمننَّ حوادثَ الأزمانِ
صاح الزمانُ بآل بَرْمَكَ[٤] صيحةً ... خَرُّوا لشدَّتِها على الأذقانِ

(١) انظر أخبار أبي تمام ص٢١٢ـ٢١٣.
(٢) ديوان أبي تمام ١/ ٢١٦، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) في الديوان: إلا وللذلِّ جانبه.
(٤) في تاريخ دمشق ٤/ ١٦١ (مخطوط): بآل قومك.

وثـنـى بـأخـرى مـثـلِـهـا فـأبـادَهُـم وأتـى الـزمـانُ عـلـى بـنـي نـبـهـانِ[١]
وغـدا يـصـيـحُ بـآل طـاهـر صـيـحـةً غـضـبٌ يـحـلُّ بـهـم مـن الـرحـمـنِ

فلمَّا وصلَ إلى همذان اغتنمَه أبو الوفاء رئيس همذان، فأبرَّه وأكرمَه، فأصبح ذاتَ يوم وقد وقع الثلجُ وقطع الطرق، فقال له أبو الوفاء: قد ترى وقوعَ الثلج، فأقمْ عندنا حتى يذهبَ الشتاء، فأقام بهَمَذَان، وأحضَر إليه خزائنَ الكتب يطالعُها، وصنَّف فيها كتاب، «الحماسة» و«الوحشيات»، وغير ذلك ـ وكان العلماءُ يرون أنَّ اختيارهُ الحماسة أحسنُ من شعره ـ فلمَّا ارتفعَ الثلجُ سأله المُقَام فأبى، وتوجَّه إلى سرَّ من رأى، وبقي كتابُ «الحماسة» في خزائن أبي الوفاء، وكانوا لا يظهرونَه لأحدٍ ضنًّا به، حتَّى تغيَّرت أحوالُهم، فوردَ همذان رجلٌ من الدينور يعرف بأبي العواذل فظفرَ به، فحملَه إلى أصبهان، فاشتهر وشاعَ ذكرُه[٢].

وديوانه مشهورٌ منه: [من البسيط]

ستصبحُ العيسُ بي يا صاحِ عندَ فتى كثيرِ ذكر الرِّضَا في ساعة الغضبِ
صـدفـتُ عـنـه فـلـم تَـصْـدِفْ مَـوَدَّتُـهُ عـنِّـي وعـاودَهُ ظـنِّـي فـلـم يـخِـبِ
كـالـغـيـثِ إنْ جـئـتَـهُ وافـاكَ صـيِّـبـه وإن تـحـمَّـلـتَ عـنهُ كـان في الطَّلَبِ[٣]

وقال: [من الخفيف]

رُبَّ خـفـضٍ تَـحْـتَ الـسُّـرى وغَـنَـاءٍ مـن عَـنَـاءٍ ونَـضْـرةٍ مـن شُـحُـوبِ
لـسـتُ أُدلـي بـحُـرْمـةٍ مـسـتـزيـداً فـي وِدادٍ مـنـكـم ولا فـي نَـصـيـبِ
غـيـرَ أنَّ الـعـلـيـلَ لـيـسَ بـمـذمـو مٍ عـلـى شـرحِ حـالـهِ لـلـطـبـيـبِ
لـو رأيـنَـا الـتـوكـيـدَ خُـطَّـةَ عـجـزٍ مـا شَـفَـعْـنَـا الأذانَ بـالـتـثـويـبِ[٤]

وقال: [من الكامل]

فـكـأنَّ قُـسًّـا فـي عُـكَـاظٍ يـخـطُـب وكـأنَّ لـيـلـى الأخـيـلـيَّـة تَـنـدُبُ

(١) في تاريخ دمشق: ماهان.
(٢) انظر مقدمة شرح الحماسة للتبريزي ١/ ٥.
(٣) ديوان أبي تمام ١/ ١١٢ـ١١٣.
(٤) ديوان أبي تمام ١/ ١١٩، ١٢٥ـ١٢٦.

وكَثيرَ عزَّةَ بين قومٍ ينسُبُ ... وابنَ المقفَّع في المدائحُ يُسهِبُ[1]

وقال: [من الكامل]

يا طالباً مسعاتَهُم لينالَها ... هيهاتَ منك غُبارُ ذاكَ الموكبِ
بحرٌ يَطِمُّ على العُفَاة وإنْ تَهِج ... ريحُ السُّؤالِ بموجه[2] يَغْلَولِبِ
أولى المديحِ بأنْ يكونَ مهذَّباً ... ما كانَ منه في أغرَّ مهذَّبِ
غَرَبَتْ خلائقُهُ وأغربَ شاعرٌ ... فيه فأحسنَ مُغربٌ في مُغربِ[3]

وقال: [من الطويل]

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لديباجتَيه فاغتربْ تَتجدَّدِ
فإنِّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبَّةً ... على الناس إذا ليستْ عليهم بسرمدِ
محاسنُ أوصاف المغنِّينَ جَمَّةٌ ... وما قصباتُ السَّبقِ إلَّا لمعبدِ[4]

وقال: [من البسيط]

أرى ألفاتٍ قد خُططنَ على راسي ... بأقلامِ شيبٍ في مفارق قرطاسِي[5]
فإن تسأليني من يَخُطُّ حروفَها ... فكَفُّ الليالي تستمدُّ بأنفاسِي
جَرَتْ في قلوبِ الغانياتِ لعيتي[6] ... قُشَعْرِيرةٌ من بعد لينٍ وإيناسِ
وقد كنت أَجري في حشاهنَّ مرَّةً ... مجارِيَ جاري الماءِ في غصنِ الآسِ
فإنْ أُمْسِ لم أَصِلِ الكواعبَ آيساً ... فآخرُ آمالِ العباد إلى الياسِ[7]

---

(١) ديوان أبي تمام ١/ ١٣٤ باختلاف يسير.
(٢) في (خ) و(ف): بمدحه. والمثبت من الديوان.
(٣) ديوان أبي تمام ١/ ٩٨ ، ١٠٤، ١٠٦ـ١٠٧ .
(٤) ديوان أبي تمام ٢/ ٢٣ ، ٢٩.
(٥) في الديوان: مهارق أنقاس.
والمهارق: جمع مُهْرَق، وهو القرطاس، والأنقاس: جمع نقس، وهو المداد.
(٦) في الديوان: لشيبتي. وفي إحدى نسخ شرح الصولي على الديوان ـ كما في هامش الديوان ـ : لهيبتي.
(٧) ديوان أبي تمام ٤/ ٥٩٧ـ٥٩٨ .

ذاكَ السؤالُ[١] شجىً في الحَلقِ معترضٌ ... من دُونه شَرَقٌ من خلفِه جَرَضُ[٢]
ما ماءُ كفِّكَ إنْ جَادتْ وإن بَخِلَتْ ... من ماءِ وَجهي إذا أَفنيته عِوَضُ
مروءةٌ أُذهبت أثمار لذَّتِها[٣] ... وهمةٌ جوهرٌ معروفُها عَرَضُ

وقال: [من الكامل]

كم منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى ... وحنينُه أبداً لأوَّلِ منزلِ
نَقِّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلَّا للحبيبِ الأوَّلِ[٤]

وقال: [من الطويل]

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَه ... فلجَّتُهُ المعروفُ والجودُ سَاحِلُهْ
تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتَّى لو انَّه ... أرادَ انقباضاً[٥] لم تطعْهُ أناملُهْ
ولو لم يكنْ في كفِّه غيرُ نفسه ... لجَاد بها فليتَّقِ الله سائلُهْ
إذا آملٌ رجَّاه قَرْطسَ في المنى ... بأسهمِه حتى يؤمِّلَ آملُهْ

وقال: [من الكامل]

نَظَرَتْ إليَّ بعينِ من لم يَعْدِلِ ... لمَّا تمكَّن حبُّها من مقتلي
لمَّا رأت وَضَح المشيبِ بلِمَّتي ... صَدَّت صدودَ مُجانبٍ متحمِّلِ
فجعلتُ أطلبُ وصلَها بتأمُّلِ ... والشيبُ يغمزُها بأنْ لا تفعلي[٦]

وقال: [من الطويل]

سأتركُ هذا البابَ ما دام إذنُه ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلا
فما خابَ من لم يأتِهِ متعمِّداً ... ولا فازَ من قد نالَ منه وصولَا
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً ... وجدتُ إلى ترك المجيء سبيلَا[٧]

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي الديوان ٤/ ٤٦٥ : ذل السؤال.
(٢) الجرض: الريق. القاموس (جرض).
(٣) في الديوان ٤/ ٤٦٦ : مودة ذهبت أثمارها شُبَهٌ.
(٤) ديوان أبي تمام ٤/ ٢٥٣ .
(٥) في الديوان ٣/ ٢٩ : ثناها لقبض. بدل: أراد انقباضاً.
(٦) العقد الفريد ٣/ ٤٣ .
(٧) العقد الفريد ١/ ٧٤ ، والتذكرة الحمدونية ٨/ ٢٠٢ . ونسبت لغير أبي تمام، فنسبها ابن عبد البر في بهجة =

وقال: [من الرمل]

أنتَ في حلٍّ فزدني سَقَما ... أفنِ صبري واجعلِ الدمعَ دمَا
ليس منَّا من شكا علَّتَه ... من شكا ظُلْمَ حبيبٍ ظَلَمَا[1]

وقال: [من الكامل]

ما إنْ رَأى الأقوامُ شمساً قَبلَها ... أَفَلَتْ فلم تُعْقِبْهُمُ بظَلامِ
لو يقدرون مَشَوا على وَجَنَاتِهم ... وعيونِهِم فضلاً عن الأقدامِ[2]

وذكر عبد الله بن المعتز إخوته فقال: أنا معهم كما قال أبو تمام: [من البسيط]

ذو الودِّ مني وذُو القربى بمنزلةٍ ... وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورَتْ آدابُهم أدبي ... فهم وإن فُرِّقوا في الأرض جيراني
أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغَدَت ... أجسامنا بشآم أو خراسانِ
ورُبَّ نائي المغاني روحُه أبداً ... لصيقُ روحي ودانٍ ليس بالدَّاني[3]

وقال: [من البسيط]

لا يمنعنك خفضُ العيش في دَعَةٍ ... من أن تَبدَّل أوطاناً بأوطانِ[4]
تَلقَى بكلِّ بلادٍ إن حَلَلْتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وإخواناً بإخوانِ[5]

وقال يرثي ولده: [من البسيط]

إنِّي أَظنُّ البِلى لو كان يعرفُه ... صَدَّ البِلى عن بَقايا وجهِه الحسنِ

= المجالس ١/ ٢٧١ لمحمود الوراق، وأورد ابن المعتز في طبقات الشعراء ص٢٨٧ ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٨٩-٩٠ البيتين الأول والأخير ونسبهما لأبي العميثل، ونسبهما الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٤٢٦ لمحمد بن عمران.

(١) ديوان أبي تمام ٤/ ٢٧٥ .

(٢) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٠٦ .

(٣) ديوان أبي تمام ٣/ ٣٣٥ .

(٤) في المصادر: نزوع نفس إلى أهل وأوطان.

(٥) بهجة المجالس ١/ ٢٤٤ . وليسا في ديوانه، وهما في حماسته ١/ ١٤٧ (شرح التبريزي) دون نسبة. ونسبهما ياقوت في معجم الأدباء ١/ ١٩٢ ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٤٦ لإبراهيم بن العباس الصولي، ونسبهما الكتبي في فوات الوفيات ٤/ ١٤٢ لصريع الغواني. وهما في ديوانه ص٣٤١ .

يا موتةً لم تَدعْ ظَرْفاً ولا أدباً ... إلَّا حَكَمْتِ به للحدِ والكفنِ
لله ألحاظُهُ والموتُ يكسرُها[١] ... كأنَّ أجفانَه سَكرى من الوَسَنِ
يردُّ أنفاسَه كَرْهاً وتعطفها ... يدُ المنية عَطْفَ الريحِ للغُصُنِ
يا هولَ ما أبصرتْ عيني وما سمعتْ ... أُذني فلا بقيت عَيني ولا أُذني
لم يبق في بدني جزءٌ[٢] علمتُ به ... إلَّا وقد حلَّه جزءٌ من الحَزَنِ
كانَ اللحاقُ به أَوْلَى وأحسنَ بي ... من أنْ أعيشَ سقيمَ الروحِ والبَدَنِ[٣]

وقال: [من الطويل]

ألم تَرني خَلَّيتُ نفسِي وشانها ... فلم أَحْفل الدُّنيا ولا حدثانَها
لقد خَوَّفتني الحادثاتُ صُروفَها ... ولو أمَّنتني ما قبلتُ أمانَها
يقولون هل يَبكي الفتى لخَريدةٍ ... متى ما أرادَ اعتاضَ عشراً مكانَها
وهل يستعيضُ المرءُ من عشر كفِّه ... ولو صاغَ من حُرِّ اللُّجَينِ بنانَها
وكيف على علم الليالي معرَّس[٤] ... إذا كان شيبُ العارضينِ دخانَها

وقال: [من البسيط]

إنَّ الليالي لم تحسنْ إلى أحدٍ ... إلَّا أساءتْ إليه بعدَ إحسانِ
العيشُ حلوٌ ولكنْ لا بقاءَ له ... جميعُ ما الناس فيه ذاهبٌ فاني[٥]

ذكر وفاته:

توفي سنةَ عشرين ومئتين[٦]. وقيل: لمَّا عادَ من خراسان عني به الحسنُ بن وَهْب، فولَّاه بريدَ الموصل، فأقامَ بها أقلَّ من سنتين، وتوفي في جمادى الآخرة[٧] سنة إحدى

(١) في (ف): يكسوها.
(٢) بعدها في (خ) و(ف): وقد. وهي مقحمة.
(٣) ديوان أبي تمام ٤/ ١٤٦ .
(٤) في ديوان أبي تمام ٤/ ١٤٢ : وكيف على نار الليالي معرَّسي.
(٥) تاريخ دمشق ٤/ ١٥٨ـ١٥٩ (مخطوط).
(٦) كذا في (خ) و(ف). ولعلها: سنة ثمان وعشرين ومئتين. انظر أخبار أبي تمام ص٢٧٢-٢٧٣ ، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٦٧ .
(٧) كذا في (خ) و(ف)، وفي المصادر: جمادى الأولى.

وثلاثين. وقيل: في المحرم سنة اثنتين وثلاثين. ودفن بالموصل وله نيفٌ وأربعونَ سنة.

ورثاه العلماءُ والوزراءُ والشعراءُ، فقال محمدُ بن عبد الملك الزيَّات: [من الوافر]

أَلَا لله مـا جَـنَـتِ الـخـطـوبُ ... تُـخُـرِّمَ مـن أحـبَّـتـنـا حـبـيـبُ
ومـاتَ الـشـعـر مـن بـعـدِ ابـن أوسٍ ... فـلا أدبٌ يُـحَـسُّ ولا أديـبُ[1]

وقال الحسن بن وهب: [من الوافر]

نـبـأٌ أتـى مـن أعـظـمِ الأنـبـاء ... لـمَّـا ألَـمَّ مُـقـلـقـلُ الأحـشـاءِ
فُـجِـعَ الـقـريـضُ بـخـاتَـم الـشـعـراءِ ... وغـديـرِ روضـتـهـا حـبـيـبِ الـطـائـي
مـاتَـا مـعـاً فـتـجـاورَا فـي حـفـرةٍ ... وكـذاك كـانـا قـبـلُ فـي الأحـيـاءِ
قـالـوا حـبـيـبٌ قـد ثَـوى فـأجـبـتُـهـم ... نَـاشـدتُـكـم لا تـجـعـلُـوه الـطـائـي[2]

وقال عليُّ بن الجهم: [من الكامل]

غـاضـتْ بـدائـعُ فـطـنـةِ الأوهـام ... وعَـدَتْ عـلـيـهـا نـكـبـةُ الأيـامِ
وغدا القريضُ ضئيلَ شخصٍ باكياً ... يَـشـكـو رزيَّـتَـه إلـى الأقـلامِ
وتـأوَّهـتْ غُـرَرُ الـقـوافـي بـعـدَه ... ورَمـى الـزمـانُ صـحـيـحَـهـا بـسـقـامِ
أَوْدَى مـثـقَّـفُـهـا ورائـضُ صـعـبِـهـا ... وغـديـرُ روضـتـهـا أبـو تـمـام[3]

وقال أبو الفرج الأصبهاني: [كان دعبل][4] يثلبُ أبا تمام ويقول: سرقَ قصائدَ الناس، فدخل يوماً على الحسن بن وهب، فقال: بلغني أنَّك [قلت في أبي تمام كيت وكيت، فهبه سرق هذه القصيدة[5] كلَّها، وقبلنَا قولك فيه، أسرق شعره كلَّه؟ أتحسن أنت أن] تقول كما قال: [من الطويل]

---

(١) أخبار أبي تمام ص٢٧٧ـ ٢٧٨ .

(٢) البيت الأول والأخير لمحمد بن عبد الملك الزيات، كما في أخبار أبي تمام ص٢٧٧-٢٧٨ ، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٣-١٦٤ ، وتاريخ دمشق ٤/ ١٦٢-١٦٣ ، والبيتان الثاني والثالث للحسن بن وهب، كما ذكر المصنف، فتداخلت القطعتان.

(٣) أخبار أبي تمام ص٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ٩/ ١٦٣ .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) يشير إلى قصيدة مكنف ولد زهير بن أبي سلمى، وانظر تمام الخبر في الأغاني ٢٣/ ١١٥ ، وما بين حاصرتين منه.

شهدتُ لقد أَقوت مغانيكُم بعدِي... الأبيات

فخجل دعبل، فقال له الحسن: قد مات الآن، وقد كنتَ تعادِيه حسداً له على حظِّه من الدنيا، فتبِ الآن من ذكره، [فقال: أصدقك يا أبا عليّ،][1] ما كان بيني وبينه إلَّا أنَّني سألتُهُ أن ينزل عن شيءٍ من شعره، فاستحسنَه فبخلَ[2] به عليَّ. فعجب ابنُ وَهْب من اعترافه.

وقال المهلبيُّ: ما كان أحدٌ يقدرُ في زمن أبي تمَّام أنْ يأخذَ درهماً على الشعر، فلمَّا مات اقتسمَ الشعراءُ ما كان يأخذه[3].

حدث أبو تمَّام عن صهيب[4] بن أبي الصهباء وغيره، وروى عنه خالد بن يزيد الشاعر وغيره.

وقال خالد بن يزيد الكاتب: بينا أنا مارٌّ بباب الطَّاق، وإذا براكبٍ خلفي على بغلةٍ، فلمَّا لحقني نخسني بسوطه، وقال: يا خويلد أنت القائل: [من المتقارب]

رقدتَ فلم ترثِ للساهر ... وليلُ المحبِّ بلا آخر

فقلت: نعم، فقال: لله درُّك، وصفَ امرؤ القيس في ثلاثة أبيات الليلَ الطويل، وكذا النابغةُ وبشار بن برد، وبَرَّزْتَ عليهم أنتَ بشطر كلمة؟! فقلت: بيِّن ما تقول، قال: أمَّا امرؤ القيس فقال: [من الطويل]

وليلٍ كموجِ البحرِ أَرْخَى سُدُولَه ... عليَّ بأنواعِ الهموم ليبتلي

فقلتُ له لمَّا تمطَّى بصدره ... وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألَا انجلي ... بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ[5]

وأمَّا النابغةُ فقال: [من الطويل]

---

(١) ما بين حاصرتين من الأغاني ٢٣/ ١١٦، ومكانها في (خ) و(ف): فكان.

(٢) في الأغاني: إلا أني سألته عن شيءٍ استحسنته من شعره فبخل...

(٣) الأغاني ١٦/ ٣٨٨.

(٤) تحرفت في (خ) و(ف) إلى مهلب. والتصويب من تاريخ دمشق ٤/ ١٥٢ (مخطوط)، وانظر تاريخ بغداد ٤/ ١٦٥-١٦٦.

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٨.

كلـيـنـي لـهـمٍّ يـا أمـيـمـةَ نـاصـبِ ... ولـيـلٍ أُقـاسـيـهِ بـطـيءِ الـكـواكـبِ
وصـدرٍ أراحَ الـلـيـلُ عـازبَ هَـمِّـه ... تـضـاعـفَ فـيـه الـهـمُّ مـن كـلِّ جـانـبِ
تـقـاعـسَ حـتـى قـلـتُ لـيـس بـمـنـقـضٍ ... ولـيـسَ الـذي يَـهـدي الـنـجـومَ بـآيـبِ[1]

وأما بشار بن برد فقال: [من الطويل]

خـلـيـلـيَّ مـا بـال الـدُّجـى لا يـزحـزحُ ... ومـا بَـالُ ضـوء الـصُّـبـح لا يـتـوضَّـحُ
أظنُّ الدُّجى طالتْ وما طالتِ الدُّجى ... ولـكـنْ أطـالَ الـلـيـل سُـقْـمٌ مـبـرِّحُ
أضـلَّ الـنـهـارُ الـمـسـتـنـيـرُ طـريـقَـه ... أمِ الـدهـرُ لـيـلٌ كـلُّـه لـيـسَ يـبـرحُ[2]

فقلت له: قد قلتُ في معنى لم أسبَق إليه، فقال: قل، فقلت: [من مجزوء الرمل]

كـلـمَـا اشـتـدَّ خـضـوعـي ... بـجـوىً[3] بـيـنَ ضـلـوعِـي
ركـضـتْ فـي حـلـبـتَـي[4] خـد ... يَّ خـيـلٌ مـن دُمـوعِـي

فثنى رجلَهُ عن البغلة، ونزل، وقال: خذها، فأنتَ أحقُّ بها مني، ومضى، فسألتُ عنه، فقيل: هذا أبو تمَّام الطائي.

عليّ بن المُغِيرَة

أبو الحسن الأثرم، البغداديُّ، صاحبُ اللغة والنحو وغيره.

قدم الشام، ثمَّ رجعَ إلى بغداد، فتوفيَ بها. سمعَ الأصمعيَّ وغيَره، وكان ثقةً[5].

محمدُ بن زياد

أبو عبد الله، ابن الأعرابيّ، مولى بني هاشم، كان أحدَ العالمين باللغة، والمشار إليه[6] في معرفتها، كثير الحفظ لها، وكان يزعم أنَّ الأصمعيَّ وأبا عبيدة لا يعرفان

(١) ديوان النابغة ص٤٠-٤١ (دار المعارف).

(٢) ديوان بشار بن برد ١/ ٤٦٢ .

(٣) في المصادر: لجوى.

(٤) في (خ) و(ف): جانب. والتصويب من تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥ ، وتاريخ دمشق ٣/ ١٠٢ (مخطوط)، والمنتظم ١٢/ ١٧٩.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٥٩٤ ، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢٤٣ (طبعة مجمع اللغة).

(٦) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ بغداد ٣/ ٢٠١ : إليهم.

منها قليلاً ولا كثيراً، وما رُؤي في يده كتابٌ قط.

قال الخطيب: وسألَه ابنُ أبي دؤاد، أتعرف [في اللغة «استوى»][1] بمعنى استولى؟ قال: لا[2]، ولا تعرفُه العرب؛ لأنَّها لا تقولُ: استولى فلانٌ على الشيء حتى يكونَ له فيه مُضَادٌّ أو منازع، فأيُّهما غلبَ استولى عليه، والله تعالى لا ضدَّ له. وأنشد النابغة: [من البسيط]

إلَّا لـمـثـلـكَ أو مَـنْ أنـتَ سـابـقُـه سبقَ الجوادِ إذا استولَى على الأمَدِ[3]

وكان خصيصاً بالمأمون، وهو الذي سألَه المأمون عن أحسنِ ما قيل في الشراب، فقال[4]: [من الطويل]

تـريـكَ الـقَـذَى مِـنْ دونِـهـا وهـيَ دونَـه إذا ذاقَـهـا مـن ذاقَـهـا يـتـمـطَّـقُ[5]

فقال المأمون: أشعرُ منه من قال: [من المديد]

وتـمـشَّـت فـي مـفـاصِـلـهـم كـتـمـشِّـي الـبُـرْءِ فـي الـسَّـقـمِ

يريد أبا نواس[6].

مات ابنُ الأعرابي بسرَّ من رأى في هذه السنة، وقيل: في سنة إحدى وثلاثين ومئتين، وصلَّى عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، وحدَّثَ عن أبي معاوية الضرير وطبقته، ورَوى عنه إبراهيم الحربيّ وغيره، وكان أوثقَ الناسِ، وهو الذي رَوى حديث أمِّ زرع، وتوفي في شعبان وهو ابنُ ثمانين سنة.

محمَّدُ بن عَائذ

صاحب المغازي والفتوح، أبو عبد الله، الكاتبُ الدمشقيُّ، صنَّف «الصوائف»

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤ .

(٢) ها هنا انتهى جواب ابن الأعرابي لابن أبي دؤاد، ومابعده هو من جوابه لرجل آخر. وانظر تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤.

(٣) ديوان النابغة ص٢١ .

(٤) قائله الأعشى. والبيت في ديوانه ص٢٦٩ .

(٥) في (خ)و(ف): يتمنطق. والمثبت من ديوان الأعشى، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٠٤.

(٦) ديوانه ص٥٣٧ .

و«السير» وغيرها، ولدَ سنة خمسين ومئة، ووليَ خراج غوطة دمشق للمأمون، وكان ثقةً.

مات بدمشق في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاثٍ، أو أربع وثلاثين ومئتين.

أسند عن الوليد بن مسلم، وخلقٍ كثير، ورَوى عنه أبو زُرعة الدمشقي ـ وذكره في أهل الفتوح[١] ـ وأحمد بن أبي الحَوَاري، وغيرهما، وأَجْمعوا على عدالتِه وديانتِه[٢].

هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد

ولد سنة تسعين ومئة ـ وقيل: سنة أربع وتسعين[٣] ـ بطريق مكَّة، وأمه قراطيس أم ولد، كان حسنَ السيرة، وإنَّما استولَى عليه أحمدُ بن أبي دؤاد، كما استولَى على أبيه، وحملَه على أن حملَ الناس على القولِ بخلق القرآن، وشدَّد عليهم في ذلك، فكرهوا أيَّامه.

وقال أحمد بن حمدون: دخلَ هارون بن زياد مؤدِّبُ الواثق على الواثق، فأكرمَه وأظهرَ من برِّه ما شُهِر به، فقيل له: من هذا الذي فعلتَ به ما فعلت؟ فقال: هذا أوَّلُ من فَتَقَ لساني بذكرِ الله، وأَدْنَاني من رحمة الله تعالى[٤].

وقال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحدٌ من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثقُ، ما ماتَ وفيهم فقير[٥].

وقال محمد بن المهتدي: كنتُ أَمشي مع الواثقِ في صحن داره، فقال: يا محمد، ادعُ بدواةٍ وقِرْطاس، فدعوتُ له بهما، فقال: اكتب: [من الوافر]

تَنَحَّ عن القبيح ولا تُرِدهُ ... ومَنْ أوليتَ إحساناً فزِدْهُ
ستُكْفَى من عدوِّكَ كلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العدوُّ ولم تَكِدْهُ

(١) تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٨٨.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٠٤، وغيرهما.

(٣) لم أقف على هذا القول. بل روي أن ولادته كانت سنة ستٍّ وتسعين. انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٥١، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥، والمنتظم ١١/ ١٢٠.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦.

ثم قال لي: اكتب: [من البسيط]

هي المقاديرُ تَجري في أعنَّتها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ

ثم نظرَ طويلاً، فلم يحضره شيءٌ آخر، فقال: حسبك[1].

وقال أحمد بن حمدون: كان بين الواثق وبعض جواريه شرٌّ، فخرج كسلان، فلم أزلْ أنا والفتح بن خاقان نحتالُ في نشاطه، فلم ينشط، ورآني أضاحكُ الفتح، فقال: قاتلَ اللهُ العبَّاسَ بن أحنف حيث يقول: [من البسيط]

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحككم فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنعَا[2]

للحُبِّ في كلِّ عضوٍ لي [على] حِدَةٍ نوعٌ تفرَّقَ عنه الصبر[3] واجتمعَا

فقال له الفتح: أنتَ والله يا أميرَ المؤمنين في وضع[4] التمثيل في موضعه أشعرُ منه وأظرف.

وقال يحيى بن أكثم: كان أحمدُ بن أبي دؤاد قد استولَى على الواثق؛ دخلَ عليه يوماً وعنده محمدُ بن عبد الملك وجماعةٌ، وقد نالوا من ابنِ أبي دؤاد، فلمَّا رآه الواثق تمثَّل بقول الحطيئة، وأومأ إليهم: [من البسيط]

مَلُّوا قِراهُ وهَرَّتْهُ كلابُهم وجَرَّحُوه بأنيابٍ وأضراسِ[5]

ففهم ابن أبي دؤاد، فأشارَ إلى ابن الزيَّات، وقال: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١١]، ثم قال ابن أبي دُؤاد: فما قالَ لهم أمير المؤمنين؟ قال: ما قالَه كثيِّرُ عزَّة: [من الكامل]

ومَشى إليَّ بعيب عزَّة عصبةٌ جعلَ الإلهُ خُدودَهنَّ نِعالَها[6]

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥-٢٦، والمنتظم ١١/ ١٢٠-١٢١.

(٢) بعده في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦، والأغاني ٨/ ٣٥٧-٣٥٨، والمنتظم ١١/ ١٢١:

اليوم أبكي على قلبي وأندبُهُ قلبٌ ألحَّ عليه الحبُّ فانصدعا

(٣) في (خ) و(ف): الصد، والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦، والمنتظم ١١/ ١٢١، وما بين حاصرتين منهما. ولم يُذكر هذا البيت في الأغاني.

(٤) في (خ) و(ف): موضع. والمثبت من تاريخ بغداد والمنتظم والأغاني ٨/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٥) ديوان الحطيئة ص٢٨٤.

(٦) ديوان كثير ص٢٣٥ بألفاظ قريبة.

وقال حماد الموصلي: مرضَ الواثقُ فعادَه أبي وأنشد: [من البسيط]

ليتَ الشكاةَ التي كدنَا لها جَزعاً ... نموتُ لو أنَّ شيئاً يسبقُ الأجلَا
كانت بنا دونَ مولانا وسيِّدنا ... وأنَّه جُنِّبَ الأوصابَ والعِلَلَا
فالحمدُ لله إذ صحَّت سلامتُه ... وأذهبَ الله عنه الخوفَ والوجلَا
يا أيُّها الواثقُ المأمولُ أنتَ لنا ... عزٌّ نلوذُ به إذ نازلٌ نزلَا
لا نتَّقي ريبَ دهرٍ ما بقيتَ لنا ... ولا نبالي إذا وُلِّيتَ ما فعلَا
نَهوى الحياة إذا ما كنتَ راعيَنا ... وإن بقينا ليومٍ غيرِ ذاك فلَا

فأعطاه ستةَ آلاف دينار.

وقال أبو عثمان المازني: كان سبب طلب الواثق لي أن جاريةً غنَّت بين يديه: [من الكامل]

أظلومُ إنَّ مصابَكم رَجلاً ... أهدى السلامَ تحيَّةً ظلمُ

فأنكرَ عليها الواثق، فقالت: قرأتُهُ على المازنيّ، فأرسلَ في طلبي، فلمَّا دخلتُ عليه قال: ممَّن الرجل؟ قلت: من مازن، فقال: مازن اليمن، أو ربيعة، أو تميم، أو شيبان؟ فقلت: من مازن ربيعة، فقال: ما اسبك ـ بالباء، وهي لغةُ قومنا ـ؟ قلت: مكر، أي: بكر، فضحك وقال: اقعد، فقعدتُ، فقال: كيف تنشدُ هذا البيت: أظلوم إنَّ مصابكم؟ فقلت: رجلاً، فقال أين خبر إنَّ؟ قلت: ظلم، الذي في آخر البيت، فقال: ولم؟ قلتُ: لأنَّ البيتَ معلَّق به، ولا معنَى تحته حتى يتمَّ به، فأعطاني ألفَ دينار، وأمرني بملازمة مجلسه[1].

وقال الصوليُّ: جلسَ الواثقُ يوماً وعنده ندماؤه، فطربَ، فقال: من ينشدُنا؟ فقال الحسين بن الضحَّاك: أنا، فأنشدَه قصيده التي أولها: [من الطويل]

سَقَى الله بالقاطولِ مسرحَ طرفكا ... وخصَّ بسُقياهُ مناكبَ قصركا[2]

(١) انظر القصة في نزهة الألباء ص١٨٣-١٨٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٤، وإنباه الرواة ١/ ٢٤٩، والأغاني ٩/ ٢٣٤-٢٣٥، وفي نزهة الألباء وإنباه الرواة أنه انتسب إلى مازن شيبان. وانظر ما سيأتي في ترجمة المازني من هذا الجزء.

(٢) في (خ): مرابع طرفكا. والمثبت من الأغاني ٧/ ١٥٨، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

خلقتَ أمينَ الله للخلقِ عصمةً وأمْناً وكلٌّ في ذراكَ وظِلِّكَا
وثِقْتَ بمن سَّماك في الغيب واثقاً وثبَّتَ بالتأييد أركانَ مُلكِكَا
وأعطاكَ مُعطيكَ الخلافةَ شكرَها وأشعر بالتَّقوى سريرةَ قلبِكَا
وزادكَ من أعمارنا غيرَ مِنَّةٍ عليكَ بها أضعافَ [أضعافِ] عمرِكَا
ولا زالتِ الأقدارُ في كلِّ حالةٍ عدوّاً لمن عاداكَ سلماً لسلمِكَا
إذا كنتُ من جدواك في كلِّ نعمةٍ فلا كنتُ إنْ لم أُفْنِ عمري بشكركَا

من أبيات، فأعطاه خمسينَ ألفاً.

وقال الواثق: ما مدحني أحدٌ كما مدحني إدريس بن سليمان بن أبي حفصة، والأبيات: [من البسيط]

قل للخليفة هارونَ الذي خضعتْ له رقابُ ملوك السهلِ والجبلِ
أصبحتَ مالك بعد الله من مثل والله ليسَ له في العزِّ من مثلِ
ورثتَ عن خلفاءٍ أنتَ تاسعُهم خلافةً ورثوها خاتمَ الرسلِ
منكم رشيدٌ ومهديٌّ ومعتصمٌ وواثقٌ عن سبيل الحقِّ لم يملِ
لو لم يُقِم قبَّةَ الإسلامِ عدلكُم لأصبحَ الملكُ منها غيرَ معتدلِ
وحوَّلَ الواثقُ الدُّنيا فجادَ بها وسدَّ بالعدلِ باب الجورِ والنحلِ
أحييتَ بعدَ رسولِ الله سنَّتَه فأصبحَ الحقُّ فيها واضحَ السبلِ

وكان الواثق مريضاً، فأمرَ أحمدَ بن أبي دُؤاد أن يصلِّي بالناسِ يومَ العيد، فلمَّا انصرف قال: كيف كان عيدكم؟ قال: كنَّا في نهارٍ لا شمسَ فيه، فقال: أنا مؤيَّدٌ بك[1].

وقال إسحاق بن إبراهيم: حججتُ ثم عدت إلى سامراء، فدخلت على الواثق فقال: أطرفني بأحاديثِ الحجاز والأعراب، فقلت نزلتُ في بعض المنازل، فجلس إليَّ فتىً من الأعراب، فرأيتُ منه أدباً وحديثاً حسناً، فقلت: أنشدني فقال: [من الطويل]

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٥ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢ .

سَقَى العلمُ الفردُ الذي في ظلاله غزالانِ مكِّيَّانِ[١] مؤتَلِفَانِ
إذا أَمِنَا التقّا بجيدَي تواصلٍ فطرفَاهما للغيبِ[٢] مسترقانِ

ثم تنفَّس فظننتُ نَفْسَه تخرج، فقلت: ما الرأي بك[٣]؟ فقال: من وراء هذين الجبلين شجنٌ قد حيل بيني وبينه، ونذروا دمي، فأنا أتمتعُ بالنظر إلى هذين تعلُّلاً بهما، فقلت: زدني، فقال: [من الطويل]

إذا ما وَرَدْتَ الماءَ في بعضِ أهله حَضورُ فعرِّضْ بي كأنَّك مازحُ
فإنْ سَأَلَتْ عنِّي حَضُورُ فقل لها به غِيَرٌ مِنْ دائِه وهو صالحُ

فعجبَ الواثق وأمرني أن ألحِّن الأبيات[٤]، فغنَّيتُ بها بين يديه، فأمر لي بستين ألفاً، ثم قال: قد قضيتُ حوائجك وما أفكرتَ في السبب! قلت: وما هو؟ قال: الأعرابيُّ، ولم تسألني معونته، وقد كتبتُ إلى والي الحجاز بأنْ يزوِّجَهُ المرأة، ويسوق إليها صداقَها، وأمرتُ له بمالٍ، فقبَّلت يدَه وقلتُ: من يسبقكَ إلى المكارم وأنت سيِّدُها ومولاها.

وقال الخطيبُ: كان الواثقُ مغرى بأكلِ الباذنجان، فكانَ يأكلُ في ساعةٍ منه أربعين باذنجانة، فقال له أبوه: يا بني مَنْ رأيتَ خليفةً أعمى؟ ففهم فقال: يا أميرَ المؤمنين قد تصدَّقتُ بعيني على الباذنجان[٥].

وقال الصوليُّ: أهدي إلى الواثق غلامٌ، فأغضَبَه الواثقُ يوماً، فسمعه يقولُ لبعض الخدم: والله إنَّ أمير المؤمنين ليروم منذ أمس أنْ أكلِّمَه، فلم أفعل، قال الواثق: [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا ما أنتَ إلا مليكٌ جارَ إذ قَدَرَا
لولَا الهوى لتجارينَا على قدرٍ وإنْ أَفِقْ منه يوماً ما فسوفَ ترَى[٦]

(١) في الأغاني ٩/ ٢٨٦ ،والتذكرة الحمدونية ٦/ ٢٠٣ : مكحولان. وفي الفرج بعد الشدة ٤/ ٣٩٩ : مكتنان.
(٢) في الفرج بعد الشدة والتذكرة الحمدونية: للريب. ولم يذكر صاحب الأغاني هذا البيت.
(٣) في الفرج بعد الشدة والتذكرة الحمدونية: ما لك بأبي أنت. وفي الأغاني: ما بالك.
(٤) في الفرج بعد الشدة أن الذي لحن الشعر بعض عجائز الدار، وأثنى إسحاق على اللحن.
(٥) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وانظر وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٧ .
(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢ .

قيل: إنه رجع عن القول بخلق القرآن، وقد قيل غير

وقال إبراهيم بن أسباط: أُبْلِغَ ابنُ أبي دؤاد أنَّ رجلاً من أهل أَذَنَة يناظرُ في القرآن، ويقيمُ الأدلَّة على قِدَمِه فقال: يا أميرَ المؤمنين إنَّ رجلاً بأَذَنَة يقال له: عبد الله بن محمد الأَذْرَميّ يناظرُ في القرآن، فبعثَ به إليه، فجلس الواثقُ مجلساً عامّاً، وحضرَ ابنُ أبي دؤاد والعلماءُ والأشراف، ودَخلَ الرجل فقال: سلامٌ عليكم، فقال الواثق: لا سلَّم الله عليك، فقال الرجل: ما أحسن ما أدَّبك مؤدِّبُك! قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء: ٨٦] فوالله ما حييتني بها ولا بأحسنَ منها، فخجلَ الواثقُ، ثم قال الواثق لابن أبي دؤاد[1]: يا أحمد، هذا الذي تدعو الناس إليه أشيءٌ علمَه رسول الله ﷺ، أو لم يعلمه؟ فإن كان علمه، فهلَّا دَعَا الناسَ إليه، وإن قلت: ما علمَه، فقد نسبتَه إلى الجهل، وكذا الخلفاء بعدَه، فقال ابنُ أبي دؤاد: عَلِمُوه، ولم يدعوا الناس إليه، فقال الرجل: أفلَا يسعُكم ما وسِعَهم؟ فانقطعَ ابنُ أبي دؤاد، وقام الواثقُ ودخل مجلسَه واستلقَى على ظهره، ثم جعل يردِّدُ كلامَ الشيخ، ثم استدعَى به، فحلَّ عنه قيوده، وأعطاهُ أربعَ مئة دينار، وردَّهُ إلى أهلِه مكرماً، فاستدلَّ الناس بذلك على رجوع الواثق[2].

وقال صالح بن [علي بن][3] يعقوب الهاشميّ: حضرتُ مجلسَ المهتدي بالله، وقد جلسَ للمظالم في دار العامَّة، فقرأَ القصَص ووقَّع عليهم بأسرها، فسرَّني ذلك منه، وجعلت أنظرُ إليه، ففطنَ وقام، ثم استدعاني وقال لي: يا صالح، حَدِّثني ما دارَ في خَلَدِك، أو أحدثك، فقلت: أمير المؤمنين يرى، فقال: إنك[4] استحسنت ما رأيتَ منِّي، وقلت في نفسك: أيُّ خليفةٍ خليفتُنا، لو لم يقل بخلق القرآن. فقلت: الصدقُ أنجَى، هو ذاك. فقال: قد كنتُ أقولُ ذلك صدراً من أيام الواثق حتى قدم على أحمد

---

(١) كذا في (خ) و(ف) فلعله وقع سقط أو تحريف، فالقائل هو الشيخ.

(٢) انظر القصة مختصرة في فوات الوفيات ٤/ ٢٢٩-٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٨، وتاريخ الخلفاء ص٣٤١-٣٤٢. وفيها أنه أعطاه ثلاث مئة دينار.

(٣) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢.

(٤) في (خ) و(ف): إن. والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٣، وانظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٩.

ابن أبي دؤاد شيخٌ من الشام من أهل أذنة، فَأُدْخِلَ على الواثق مقيَّداً فإذا هو جميلُ الوجهِ، حسنُ الشيبة، فرأيتُ الواثقَ قد رقَّ له، وما زالَ يدنيه حتى قَرُبَ منه فسلَّم فأحسن، ودَعَا فأبلغَ وأوجزَ، فأمَره بالجلوس وقال له: ناظر ابن أبي دؤاد، فقال: إنَّه يصبو[١] أو يضعفُ عن المناظرة، فغضبَ الواثقُ، ثمَّ قال الشيخُ لابن أبي دؤاد: يا أحمد، أخبرني عن النبيِّ ﷺ حينَ بعثه الله إلى الخلائق، هل ستَر شيئاً ممَّا أمره به؟ قال: لا، قال: علم بمقالتك هذه أو جهلها؟ قال: بل علمها، قال: فهل دعا الناس إليها. [فسكت][٢]، قال: وكذا علمها الخلفاءُ الراشدون؟ قال: نعم، قال: فهل دعي الناسُ إليها؟ فسكت، فقال الشيخ: إنْ لم يسعنا في هذه المقالة ما وسعَ رسولَ الله ﷺ والخلفاء بعدَه، فلا وَسَّع الله علينا، فأمرَ بفكِّ قيده فأراد الحدادُ ليأخذه، فقال الشيخ: لا والله، أنا أحقُّ به، فقال له الواثق: فما تصنعُ به؟ قال: أجعلُه في كفني لأخاصمَ به هذا الظالم يوم القيامة، وأشار إلى ابن أبي دؤاد، [أقول: يارب، سل عبدك هذا، لم][٣] روعني وأزعجني وأزعج أولادي وإخواني بغير حق؟ ثمَّ بكى، وبكى الواثق وقال له: اجعلني في حلٍّ فقال: والله جعلتُك في حلٍّ من أوَّل يوم إكراماً لرسولِ الله ﷺ؛ إذ كنتَ من أهله، قال: ألكَ حاجة؟ قال: نعم، تجعل سراحي إلى أهلي وولدي، فقال له: إنْ رأيتَ أن تقيمَ عندنا ننتفع بك وتنتفع بنا، فقال: لا، بل أروحُ إلى أهلي، قال: فتقبلُ منَّا صِلَةً تستعينُ بها، قال: أنَا عنها في غنى، ثمَّ قام، وخرج إلى السفر، فقال المهتدي: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظنُّ أنَّ الواثقَ رجعَ عنها من ذلك اليوم.

وقال[٤] ابن أكثم: دخل عبَّادة المؤنَّث[٥] على الواثق، وكان عبَّادة ظريفاً ينادمُ الخلفاء، وله نوادر [مضحكة]، فقال: يا أمير المؤمنين أحسنَ الله عزاءك، قال: فيمن؟ قال: في «قل هو الله أحد»[٦]، فقال: ويحكَ، وكيف تموت؟! قال: لأنَّه مخلوق،

(١) في مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٣ : يضوى ويضعف .

(٢) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق.

(٣) في (خ) و(ف) بياض، واستدركته من مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٤ .

(٤) من هنا رجعت النسخة (ب) وفيها: فصل في ذكر الواثق.

(٥) كذا في (خ) و(ف) و(ب). وفي المصادر: عبَّادة المخنث.

(٦) في (ب): في القرآن. بدل: في قل هو الله أحد.

وكلُّ مخلوقٍ يموت، [وإذا مات في شعبان، فمن يصلِّي بالناس في رمضان]، فوجم الواثق وقال: خذها من غير فقيه، ورجع عن قوله[١].

[وعاش عبَّادة إلى أيام المتوكِّل][٢].

واختلفوا في سببِ وفاة الواثق، فقال قومٌ: كانَ كثيرَ الأكل على غير نقاء، ففسدت معدتُه، وكان يُحملُ إليه من بطيخ مَرْو فيكثر الأكل [منه]، فاستحال في جوفه، فكان سببَ وفاته.

وقال الطبري: [حكى لي جماعةٌ من أصحابنا أنَّ علَّتَه التي توفيَ فيها كانت علَّةَ الاستسقاء،][٣] فعولجَ في تَنُّورٍ مسخَّنٍ، فوجدَ لذلك راحةً [وخفَّةً]، فأمرهمْ من غير[٤] ذلك اليومِ بالزيادةِ في إسخان التنُّور، ففعلُوا، وقعد فيه أكثرَ من [قعوده في] اليوم الذي قبله، فحمِيَ عليه، فأخرِجَ منه، وصُيِّرَ في محفَّةٍ، وحضرهُ الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ وعمر بن فرج الرُّخَّجيّ وابنُ الزيَّات وابنُ أبي دؤاد، فلم يعلمُوا بموتِه حتى ضَربَ بوجهه المحفَّة، [فعلمُوا أنَّه قد مات. هذا صورةُ ما ذكره الطبريُّ[٥].

قلت: وقد ذكر أبو المتوكل[٦] بما هو أتم من هذا، حدثنا غيرُ واحدٍ عن عبد الملك ابن القاسم الكروخي بإسناده إلى أبي المتوكل قال:] كان الواثقُ يحبُّ النساءَ وكثرةَ الجماع، بعثَ [يوماً] إلى ميخائيل الطبيب، فدخلَ عليه وهو نائمٌ في فرشه[٧] وعليه قطيفة خزّ، فقال: يا ميخائيل، أريدُ دواءً للباه، فقال [له:] يا أميرَ المؤمنين، اتَّقِ الله في نفسك [وبدنك]، فإنَّ الجماعَ يهدُّ البدنَ ويضعف النفس، [و] لا سيما إذا تكلَّفَه الرجل، فقال له: لا بدّ، ثم رفعَ القطيفة وإذا بينَ فخذيه وصيفةٌ قد ضمَّها [إلى نفسه،

(١) انظر القصة بنحوها في عقلاء المجانين ص٤١، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٥٠-٥١ (طبعة المجمع).

(٢) ما سلف بين حاصرتين من (ب)

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): كانت علته (بياض بمقدر كلمة)...

(٤) كذا في (خ) و(ف). وليست في (ب)، وفي تاريخ الطبري: غَدِ.

(٥) في تاريخه ٩/ ١٥٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٦) كذا في (ب). والصواب: المتوكل. كما في المنتظم ١١/ ١٨٦ . وفي (خ) و(ف): وقال المتوكل.

(٧) في المنتظم ١١/ ١٨٦ : وهو نائم في مشرفة له.

وذكر من حسنها وجمالها أمراً عجيباً[(١)]، وقال: من يصبرُ عن مثل هذه، فقال: إنْ كان ولا بد، فعليك بلحم[(٢)] السبع [يُغْلَى منه رطلٌ سبعَ غليات][(٣)] بخلِّ خمرٍ عتيق، فإذا جلستَ على شرابك تناول منه مقدارَ ثلاثة دراهم ثلاثَ ليال، فإنَّك تجدُ ما يغنيك، ولا تجاوز ما قلت لك، [فأخذ سَبُعاً وذبحَه، وتناول من لحمه على الوجه الذي ذكره ميخائيل، فأكثر منه على الشراب][(٤)] فَسُقِيَ بطنُه، فأجمعَ الأطبَّاءُ على أنَّه لا دواءَ له إلا أن يسجَر تنورٌ بحطبِ الزيتون، ويسخَّنَ حتى يمتلئ جمراً [فإذا امتلأ كُسِحَ][(٥)] ما في جوفه، [ويلقى على ظهره، ويجعل تحته وفوقه الرطبة] ويقعد فيه ثلاث ساعات، فإذا استسقَى ماءً لم يُسْقَ، ثم يخرج [من التنور]، فإذا وجدَ الراحةَ أعادوه، ففعلوا [به] ذلك، فجعلَ يصيحُ ويستغيث، ويقول: أخرجوني فقد احترقت، اسقوني ماءً وقد وكَّلُوا به من يمنعهُ الماء، ولا يدعه أن يقوم من موضعه، فتنفَّطَ بدنه كلُّه، وصار فيه نفاخات أكبرُ من البطيخ، واشتد به الألمُ والوجع، فصاح: ردُّوني إلى التنُّور، وكان قد وجدَ خِفَّةً، فردُّوه، فصاح، وانفجرت النفاخات، وصاحَ أهله وجواريه، فما أُخرِجَ من التنور إلَّا [وقد صار] أسودَ مثل الفحمة، فما مضت عليه ساعةٌ حتى مات[(٦)].

ورَوَى الخطيبُ أنَّه لما احتُضِرَ جعلَ ينشد: [من البسيط]

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مُشترِكُ ... لا سُوقةٌ منهم يبقَى ولا ملكُ
ما ضَرَّ أهلَ قليلٍ في تفاقرهم ... وليس يُغني عن الأملاكِ ما مَلكُوا

قال: ثم أمر بالبُسُطِ فطويت، وألصقَ خدَّه بالأرض، وجعلَ يقول: يا من لا يزولُ ملكُه، ارحمْ من قد زالَ ملكُه[(٧)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ضمها إليه، في نهاية الجمال والحسن.
(٢) في (ب): بشحم.
(٣) في (خ) و(ف): يطلى منه رطل. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٤) في (خ) و(ف): وتناول منه فأكثر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٥) في (خ) و(ف): ثم يكسح. والمثبت بين حاصرتين من (ب).
(٦) انظر الخبر بتمامه في المنتظم ١١/ ١٨٦-١٨٨ .
(٧) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦-٢٧ .

وروي أنَّه أحضرَ المنجِّمينَ فنظَرُوا في مولده، واتفقُوا [على][1] أنَّه يعيشُ خمسينَ سنةً مستقبلةً، فماتَ بعد خمسة أيام.

[ومن العجائب ما رواه الخطيب عن القاضي التنوخي عن أبيه قال: حدثني الحسين أحمد بن محمد، عن أبيه[2]، عن] أحمد بن محمد[3] أمير البصرة [قال: حدثني أبي قال:] كنتُ فيمن مرَّضَ الواثقَ، فكنتُ قائماً بين يديه أنا وجماعةٌ من الأولياء والموالي والخدم، إذْ لَحِقَتْهُ غشيةٌ، فما شككنا أنَّه قد مات، فقال بعضُنا لبعض: تقدَّموا فاعرفوا خبرَه، فما جَسَرَ أحد [منا] يتقدَّم إليه، فتقدَّمت أنا، فلمَّا أردتُ أنْ أضعَ يدي على أنفه، لحقته إفاقةٌ، ففتحَ عينيه، فكدتُ أنْ أموتَ فرقاً من أن يراني قد مشيتُ في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعتُ إلى خلف، وتعلَّقت قَبيعةُ سيفي بعتبة المجلس، وعثرتُ به، فاتَّكأت عليه فاندقَّ سيفي، وكاد يدخل في لحمي ويجرحني، فسلَّمتُ وخرجتُ، فاستدعيتُ سيفاً ومِنْطقةً أخرى فلبستها، وجئتُ فوقفتُ في مرتبتي ساعةً، وماتَ الواثق، وجاء الفرَّاشون، فأخذوا ما تحته [في المجلس] من الفرش؛ ليردُّوهُ إلى الخزائن؛ لأنها [كانت] مثبتةً عليهم، وتُرِكَ وحدَه في البيت، فشددتُ لحيته[4]، وغمَّضتهُ، وسجَّيتُه، ووجَّهتُه إلى القبلة، فقال لي ابن أبي دؤاد: نريدُ أنْ نتشاغلَ بعقدِ البيعة، ولا بدَّ أن يكونَ أحدٌ يحفظُ الميتَ إلى أنْ يُدفنَ، وقد كنتَ من أخصِّ الناسِ به في حياته، فاحفظْهُ بعد مماته، فقلت: نعم، ومضَوا، فرددتُ عليه باب المجلس، وجلست [عند الباب أحفظُه]، وكان المجلس في بستانٍ كبير، فبينا أنا كذلك إذ سمعت في البيت حركةً [أفزعتني]، فدخلتُ أنظر [ما هي]؟ وإذا بجرذون من دواب البُستان قد جاء فاستلَّ عين الواثق فأكلَها، [فتعجبت] وقلت: لا إله إلا الله، هذه العينُ التي فَتَحَهَا منذُ ساعةٍ فاندقَّ سيفي لها هيبة [له] صارتْ طعمةً لدابَّةٍ ضعيفةٍ، ثمَّ جاؤوا فغسَّلوه،

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) كذا في (ب)، وفي تاريخ بغداد: حدثني الحسين بن الحسن بن أحمد بن محمد الواثقي، قال حدثني أبي، قال: حدثني أبي أحمد بن محمد.

(٣) في (خ) و(ف): وقال أحمد بن محمد أمير البصرة، والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) كذا في (خ) و(ف) و(ب)، وفي تاريخ بغداد: لحييه.

وسألني ابنُ أبي دؤاد عن عينه، فأخبرتُه.

[قال: والجرذون دابَّةٌ أكبر] (من اليربوع قليلاً)[١].

وقيل: إنَّ هذه الواقعةَ كانت مع إيتاخ[٢] [مملوك الواثق، وأنَّه أكلَ عينه جرذون...][٣].

وكذا جرى لمروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية لما قُتِلَ ببُوصير بعث برأسه عبدُ الصَّمد بن علي إلى أخيه عبد الله بن علي بالشام؛ ترك الرأس بين يديهم، وغفلوا عنه ساعة، فجاءت هرَّة فأكلت لسانه، وقد ذكرناه][٤].

وتوفي الواثق بسُرَّ من رأى لأربعِ ساعاتٍ من نهار الأربعاء لستٍّ بقينَ من ذي الحجَّة [سنة اثنتين وثلاثين ومئتين]، ودفنَ بقصره المعروفِ بالهارونيّ، وقيل: مع أبيه بالجَوْسَق، وكان المتولِّي لغسله وتكفينه ونزوله في قبره أحمد بن أبي دؤاد، وصلَّى عليه أخوه المتوكل، ودفن وهو ابن سبع [وثلاثين سنة، وقيل: ابن][٥] ثمان أو تسع وثلاثين سنة. و[كانت] خلافتُه خمسَ سنين وتسعةَ أشهر وأيَّاماً، وقيل: خمس سنين وشهرين وأحد وعشرين[٦] يوماً.

[وأما أولادُه، فمحمد وهو المهتدي][٧]، وليَ الخلافة، وأمُّة قُرب أمُّ ولدٍ روميَّة، وعبد الله، وكنيتُه أبو القاسم، وأحمد، وإبراهيم، وعائشة.

ووزيره محمد بن عبد الملك الزيَّات، وقاضيه أحمدُ بن أبي دؤاد، وحاجبه إيتاخ ووصيف.

[وقال الخطيب:] حدث عن أبيه المعتصم، وقَدِم معه دمشق في خلافةِ المأمون[٨].

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٧٢-٢٨. وما بين قوسين منه. وما بين حاصرتين من (ب).

(٢) بعدها في (خ) و(ف): وأن عينه أكلها جرذ. والمثبت بين حاصرتين من (ب)

(٣) بعدها في (ب) كلمة مشوشة بسبب التصوير، ولم أتبينها. وانظر التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٠٩.

(٤) خبر عين مروان بن محمد سلف نحوه في خبر وفاته سنة ١٣٢هـ.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف) مكانها: أو.

(٦) في (خ) و(ف): وأحد عشر. والمثبت من (ب)، وتاريخ بغداد ١٦/ ٢٨، والمنتظم ١١/ ١٨٨.

(٧) في (خ) و(ف): وكان له من الولد محمد المهدي. (كذا) والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٨) انظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٩. ووقع بعدها في (ب): انتهت سيرة الواثق، والحمد لله وحده، وأزكى

وقال أحمد بن مدبر: حبسني محمدُ بن الزيَّات، وحبس سليمان بن وَهْب وأحمد ابن إسرائيل على ما قال، فقال لي سليمان يوماً: يا أحمد، رأيت البارحة في منامي قائلاً يقول: يموت الواثقُ بعد ثلاثين ليلةً، فعجبتُ، فلمَّا كان يوم الثلاثين قال لي: يا أحمد جاء الأجل، فلمَّا كان في الليل، إذا الباب يُدَقُّ دقّاً شديداً وقائلاً يقول: ماتَ الواثقُ، فقال أحمد بن إسرائيل: قوموا بنا إلى منازلنا، فقال سليمان بن وهب: كيف نمشي مع بعد المنازل، ولكن نبعثُ من يأتينا بدوابنا، فاغتاظ أحمد بن إسرائيل وقال: نعم، حتى يأتي خليفةٌ آخر، قم بنا عافاك الله، فكأنِّي بالخليفة الذي يأتي يقول: في الحبس جماعةٌ من الكتاب يبقوا حتى يُنْظَرَ في أمرهم، فأسرعنا المشي، وقصدنَا غيرَ منازلنا، واستترنا، فقيل: استوزرَ الخليفةُ محمد بن عبد الملك، فكتبنَا إليه ورقةً نعرِّفهُ بحالنا، ونستأذنه ما نفعل، فكتب على ظهرها: استخفيتم، وليس فيكم إلا من تخصُّه عنايتي، ورأي فيه جميل، فاظهروا جميعاً، فظهرنا، وقصدناه فطيَّبَ قلوبَنا، وخلع على سليمان بن وهب دوننا[1].

= صلواته وسلامه على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم.

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٥٩-٢٦١.